أبحاث المؤتمر

ـ الجزء الثاني ـ

المؤتمر الثالث للّغة العربية وآدابها
الاتجاهات الحديثة
في الدراسات اللغوية والأدبية

التاريخ

٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ٢٠١١م

الموافق لـ ٣٠ شوال ـ ٢ ذو القعدة ١٤٣٣هـ

المكان

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

IIUM Press

أبحاث المؤتمر

الاتجاهات الحديثة

في الدراسات اللغوية والأدبية

-الجزء الثاني-

هيئة التحرير

الألسنية
أكمل خزيري عبدالرحمن
مجدي حاج إبراهيم
عبدالرزاق السعدي
حنفي حاج دولة

الدراسات الأدبية
منجد مصطفى بهجت
علاء حسني المزين
نصرالدين إبراهيم
أحمد عمران بن سليم
ندوة حاج داود

تعليم اللغة العربية
عاصم شحادة علي
عبدالرحمن شيك
صوفي بن مان
عبد الوهاب زكريا
نئ حنان مصطفى

IIUM Press

نشر من قبل:

IIUM Press
International Islamic University Malaysia

الطبعة الأولى، ٢٠١١م/ ١٤٣٣ هـ
© IIUM Press, IIUM

جميع الحقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ IIUM Press. ويحضر طبعة أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتال كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيّاً.

رقم التسلسل الدولي (ISBN): 978-967-0225-33-3

عضو مجلس النشر العلمي الماليزي
(Majlis Penerbitan Ilmiah Malaysia-MAPIM)

طبع من طرف
KACI TRADING SDN. BHD.
16-3-2 DIAMOND SQUARE
JALAN 3/50 OFF JALAN GOMBAK
53000 KUALA LUMPUR
TEL: +603 4024 0308 FAX: +603 4024 0309
EMAIL: kacigraphics@gmail.com

فهرس المحتويات

تقديم ٧

مقدمة ٩

المستوى الدلالي في كتاب سيبويه ١٣

د. مي فاضل جاسم الجبوري

الإعجاز البياني عند الإمام الرازي ٣١

د. رضوان جمال الأطرش

الجهود الصوتية في كتب إعراب القرآن الكريم في ضوء الدرس الحديث " المشكل لمكي الأندلسي والبيان لابن الأنباري أنموذجا" ٥١

فادي صقر عصيدة

مهيرام أحمد

حكيم زينال

أصالة النبر عند علماء العرب والمسلمين القدامى ٧١

كبير آدم محمد

د. كاسية أبو بكر

حكيم زينل

إشكالية أصوات المد في تعليم العربية للناطقين بغيرها ٨٣

د. عاصم محمد أمين بني عامر

التناسق الصوتي في القرآن الكريم سورة مريم أنموذجاً ٩٣

عبدالرحمن بن رجاء الله السلمي

خلع الأدلة في العربية ١٠٣

د. سليمان عودة أبو صعيليك

دور النحو العربي ومناهج تعليمه في فهم النص القـرآني ١١٥

مسعود أجيبولا عبد الرحيم

د. حمزة إشولا عبد الرحيم

مواقف اللغويين المحدثين من ظاهرة الإعراب في اللغة العربية ١٣٣

فائزة فرج

أ. حكيم زينال

د. مهرام أحمد

جدلية النص والسياق نظرة أصولية ١٥٣

د. محمد رسول آهنكران

اللغويات الحديثة وجهود التراث العربي ١٧١

علي غوني إدريس النايم

حوسبة الصرف: التصغير أنموذجاً..... ١٩١

د. مسفر بن محماس الكبيري الدوسري

تقنيات التعليم في اللغة العربية لدى محاضرى جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM)

..... ٢١٣

د. نور عزيزي إسماعيل

لبنى عبد الرحمن

وان أزورا وان أحمد

د.أياد عبد الله

ظاهرة الترادف بين المعنى والسياق في الخطاب القرآني:دراسة تطبيقية ٢٢٧
عبد السلام أمين الله أتوتليطو
د. عبد البارئ أديتنجي

دلالة المصدر التركيبية في الآيات القرآنية ٢٤٣
أ. د. أبو سعيد محمد عبد المجيد

الصلة والآثار لأهل الحديث في اللغة العربية وآدابها ٢٦٥
د. سعد الدين منصور محمد

أساليب التركيب النحوي في ديوان الشافعي، قراءة تطبيقيّة ٢٨١
د. أحمد داود عبدالله دعمس

تمثلات الخطاب العربي المعاصر ٢٩٩
د. إسماعيل نوري الربيعي

التفكيكية منهجا لقراءة النص التجربة والنتاج، مقاربة نقدية ٣٢١
د. عماد حسيب محمد

رواد التجديد في الدراسات اللغوية بين التأثر والتأثير ٣٤١
د. صباح علاوي خلف السامرائي

الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، والدرس اللساني الحديث ٣٦١
أحمد هاشم السامرائي

أحمد خطاب العمر وجهوده في علم العروض والقافية ٣٨٣
د. يعقوب احمد السامرائي

انتشار لغة القرآن الكريم في الولايات المتحدة في ضوء أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م: دراسة وصفية ٤٠٣
عبد الغني سلمان

جهود اللغويين العرب والمعاصرين في دراسة اللحن والخطأ اللغوي ٤١٣
محمد حكيم روسلي
محمد سائح محمد داود

مقالات أ. د. عبد الله الدَّايل في: التَّصْحيح اللُّغوي، عرض ودراسة ٤٣١
رمزي سودينج تاليه

تأثير البيئة اللغوية في تكوين شخصية الناشئة وتربيتهم (تعلم اللغة الثانية في وقت مبكر مثالاً) ...٤٤٣
بيان علي الطنطاوي

توظيف اللغة العربية لغير الناطقين بها خارج المسجد ٤٥٣
عبد الهادي أديني

أدوات الربط في اللغة العربية واللغة الصينية: دراسة مقارنة ٤٦٩
زاليكا بنت آدم
فاطمة سو يان مي

دور الرّحلة في تعلم اللغة العربية، رحلة النحاة أنموذجا ٤٧٥
د. ناصر إبراهيم صالح النعيمي

مراجعة كتاب: "مفهوم التعليم في الإسلام: إطار تصوري لفلسفة إسلامية للتعليم"
للدكتور سيد محمد نقيب العطاس ٤٩١
أسماء أحمد عناقرة
مراد محمد الشبول

معالم المنهج الإسلامي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ٥٠٩
د. ماهر بن رمضان عبد الجواد صالح

مواقع التواصل الاجتماعي نافذة لتنمية مهارات اللغة (مهارة الكتابة والفيس بوك).... ٥٢٥
د. فؤاد محمود رواش
الأستاذ/ وان روسلي

الثقافة العربية الإسلامية في أدب أمريكا اللاتينية -باولو كويلو نموذجا ٥٣٤
د. علاء حسني المزين

نظم الترجمة الآلية الإحصائية والتحويلية - دراسة تحليلية مقارنة ٥٤٧
أ. م. د. مجدي حاج إبراهيم
عائشة رابع محمد

نَحْوَ تَأْصِيلٍ لُغَوِيَ ٥٦٥
د. عبد الرحمن بن محمد الحجيلي

جهود الزمخشري، ومكانة كتابه الكشاف بين التفاسير البيانية للقرآن، منهجا وتطبيقا في علم البلاغة ٥٧١
محمد سليم محمد سلطان الندوي

الأدب العربي وأهميته في حياة الشباب ٥٩٣
ابتسام عبد السلام عبدالله

الإعجاز البياني عند الإمام الرازي

د. رضوان جمال الأطرش[1]

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن جهود علم من أعلام البيان وهو الإمام فخر الدين الرازي في خدمة القرآن الكريم وذلك من خلال أهم مؤلفاته الموسوم: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، وتظهر أهمية هذا البحث لأنه يسلط الضوء على كشف معالم منهج علم من أعلام البيان في التاريخ الإسلامي كله، فقد أثبت رحمه الله أن قدرة القرآن على العطاء البياني مستمرة بشكل لا نظير من جهة الفصاحة والبلاغة والبيان، حيث لا يوجد له فترة معينة تنتهي فيها فصاحته وبيانه، وفي الجهة المقابلة فإن كلام العرب لا تستمر الفصاحة في جميع شعرهم ونثرهم وخطبهم بل توجد في أجزاء منه. ويعتمد البحث على المنهج الاستقراتي والتحليلي. وذلك بالرجوع على مصادر التراث الأصيلة وخصوصاً مؤلفات الإمام الرازي كالتفسير الكبير، ودراستها وتحليلها. من جهة أخرى، فإن هذا البحث يسلط الضوء على إحدى الدراسات الأدبية للإمام فخر الدين الرازي وتطبيقاتها من خلال المقارنة مع ما قيل من كلام العرب في الشعر والأدب والنثر وذلك من خلال التركيز على المقصود بالبيان والفصاحة وما المقصود بالإعجاز البياني في القرآن ومظاهره عند الرازي وذكر أمثلة مقارنة بين البيان القرآني وكلام العرب من خلال كتابه التفسير الكبير والأمثلة على التناسق البياني لكلمات القرآن العظيم. ثم الكشف عن معالم منهج الإمام الرازي في عرض الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

تمهيد

لقد تحدى الله بالقرآن ولغته وأسلوبه كل البشر، فأعجز أساطين الفصحاء من العرب، وأخرس ألسنة أهل اللسان والبيان من العجم وأهل الاختصاص، ورغم هذا الزمن الطويل على لغة القرآن وأسلوبه، فقد ظل القرآن شامخاً يشع نوراً وحلاوة وطلاوة، وصدق الله حين قال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

من جهة أخرى، فإن الحديث عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، لم يجد من يتفاعل معه، إلا من خلال اهتمام فئة المتخصصين لغوياً وهم قلة، حيث أصبح الحديث عن كَلِم القرآن لفظاً ومعنىً مُمِلاً في بعض الأحيان لدى البعض وفي غاية الصعوبة، كما أن الحديث عن جُمَلِه وأساليبه ونظمه يحتاج إلى دراسة تخصصية. والناس عموماً تجهل مقومات الحديث عن الفصحى والبيان والبلاغة، وهذا – رضينا أم سخطنا – يعد انحناءً أمام عاصفة المؤامرات التي يثيرها أعداء الأمة، والتي بفضلها استطاعوا أن يبعدوا الأمة عن كتابها، ولغته وبيانه وأساليبه، ومعجزة سيدنا محمد ﷺ. والأكثرية من الناس تميل إلى سماع الحديث المفصل عن الإعجاز العلمي والتأثيري والغيبي وغيرها من الوجوه.

إن الإعجاز البياني المبين لتراكيب ألفاظ القرآن ومعانيه والعلاقة البيانية بين اللفظ والمعنى كان هو السر في هذا الإعجاز، فالعرب أمة لغة وبيان، ورجال فصاحة وبلاغة، تطرب عقولهم الكلمة، وتهز مشاعرهم الخطبة، ويستهوي قلوبهم الشعر، وقد وقفوا عند بلاغة القرآن مبهورين وهذا ما عبر عنه الوليد بن المغيرة: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر"[٣].

إن أسلوب القرآن ونظمه فأجأ العرب جميعهم، وتحدى فصحاءهم وبلغاءهم، حتى أنهم احتاروا في وصفه، فعلماء البلاغة عندهم لما صفت أرواحهم للحظات، أدركوا أنه خطاب معجز، له حلاوته وطلاوته، ويستحيل أن يصنع مثله بشر، فما يشبه صناعة الشعر أو النثر، أو حتى لا يقرب زم السحر والكهانة. ولكنهم لما غلبتهم النزوات الشيطانية واستطاع إبليس أن يسيطر على قلوبهم، قالوا: ما هذا القرآن إلا سحر يؤثر.

ولو دققنا النظر في كلم القرآن، لوجدنا أن كل كلمة في القرآن لها موقعها الخاص المعجز، ولو وُضعت في مكان آخر، لا يمكن لأي كلمة أخرى مرادفة أن تحل محلها. قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

والشيء المعجز حقاً، قدرته على العطاء باستمرار لا نظير له، فما فيه من استمرارية من جهة الفصاحة والبلاغة من جميع الأنحاء والجوانب، لا حدود لها ولا قيود، حيث لا يوجد له فترة معينة تنتهي فيها فصاحته أو بلاغته، أن يقدر عليه أحد من البشر، وفي الجهة المقابلة، فإن كلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في شعرهم ونثرهم وخطبهم في جميع

أنحائها إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في أجزاء منه.

يقول الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[٤]. ومن العلماء من أجاد في هذا المجال وكيف تميز عن غيره في تبيان وجوه بيانية لم يتحدث مثلها غيره. وهذا ما سيبينه البحث في الورقات الآتية.

وفي النهاية يمكننا القول، بأن سبيل الحفاظ على أصول اللغة العربية من التدهور والضياع يتمحور في العودة إلى إظهار أساليب القرآن البيانية والاهتمام بالصور والوجوه البيانية واللغة العربية عموماً فهي لغة كتابنا العظيم، والحفاظ عليها يرتبط بالحفاظ على هذا الكتاب وتاريخيته وإعجازه.

المقصود بالإعجاز البياني واللغوي

تمهيد: قبل أن نعرج على المقصود بالإعجاز البياني واللغوي، نقدم تعريفات لمصطلحات البيان والفصاحة والبلاغة.

تعريف الفصاحة والبلاغة والبيان

الفصاحة لغة: هي الظهور والبيان[٥]، يقال: أفصح الصبح إذا بان وظهر، قال ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[٦]. أي أبين قولاً[٧]. قال الرازي[٨]: "أي يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويجيب عن الشبهات، ويجادل الكفار"[٩].

واصطلاحاً: خلوص الكلام من التعقيد[١٠]، أي أن يكون الكلام سهلاً خالياً من العبارات الصعبة التي يصعب فهمها.

وفي التعريفات: خلوص الكلام من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها. ثم عرف فصاحة الكلمة فقال: خلوصها من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس[١١].

البلاغة لغة: الوصول والانتهاء[١٢]، يقال: بلغت المكان بلوغاً أي وصلت إليه.

واصطلاحاً: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[١٣]. وقيل: البلاغة الإيجاز مع

الإفهام والتصرف من غير إضجار[١٤].

أما البيان: لغة: فهو الكشف والظهور[١٥].

أما اصطلاحاً: البَيَان إظهار المقصود بأبْلَغ لفْظ[١٦]. وقيل: هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل"[١٧].

أما تعريف الإعجاز البياني: فهو أن تتلاءم ألفاظ الآيات مع معانيها تلاؤماً مُحكماً في الدلالة والموقف والسياق، وبشكل معجز يتحدى بنظمها البشرية كلها أن يأتوا بمثله.

المقصود بالإعجاز البياني في القرآن الكريم: إن المقصود بالإعجاز البياني في القرآن الكريم يتضح لنا من خلال النقاط التالية:

١. إظهار عجز البشر بشكل مستمر عن الإتيان بمثل هذا القرآن لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها التي تحمل المعاني.

٢. الكشف عن القصور العقلي للبشر عن إدراك جميع معاني الأشياء التي حملتها الألفاظ.

٣. عدم اكتمال معرفة البشر، وأن علومهم مهما تعاظمت فهي قاصرة، وأن فوقهم عليم لا يحيط بعلمه أحد .

٤. تصديق رسالة النبي ﷺ وأنه من عند الله الكريم المتعال.

ولهذا فإن من تدبر القرآن الكريم وجد كل هذه الأشياء في كلماته، وبهذا صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ وأصح المعاني، ولم يخرج عن سنن لغة العرب إفراداً وتركيباً. قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١٨]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[١٩].

ولكن القرآن تميز في أسلوبه عن أساليب العرب في كلامهم فلا يدخل على طريقتهم في نظمهم للشعر، وأساليبهم في النثر والخطابة. ولو أننا أردنا أن نقيس أساليب العرب ونقارنها مع غيرهم، لوجدنا أنها في القمة التي تقترب من حد الإعجاز، ولو قارنَّا كلام العرب بشموليته بكلام القرآن، لوجدنا أنه نتيجة لمقارتنا كلام العرب الفصيح مع كلام الله نجد أن كلام العرب في أسفل الدرجات وهذا هو الإعجاز القرآني.

فالقرآن قطع حد الإعجاز ودخل إلى أعلى نقطة فيه، لأن نمطه اختلف عن أنماط كل كلام العرب فيما قالوه خطباً أو شعراً أو نثراً، فقد بلغ القرآن في مضمار البلاغة والفصاحة الطرف الأعلى، والحد الذي لا يمكن لبشر أن يقترب منه أو يتعداه. وهو ما يمكن أن نسميه حدَّ الإعجاز، لأن هذا كان الميدان الذى تحدَّى القرآن فيه العرب، وهم فرسانه، يقول الرازي: "إن العرب مع بلوغهم في الفصاحة إلى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن"[٣٠].

ولقد اطرد هذا التفوق اللغوي في القرآن سورة سورة، وآية آية، ومن ثم كان التحدي فيه أن يأتوا بسورة من مثله مما ينطبق على طويل السور وقصيرها. فالقرآن تغلَّب بأسلوبه ونظمه ولفظه ومعناه لأنه لون آخر متميز مستقل قائم بذاته لا يعتمد على غيره.

ولم يقف التحدي عند هذا الأمر، بل إن القرآن استفزَّ العرب، وأخذ يقرعهم أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم غاية التسفيه، ويحط أعلامهم ورؤسهم وآلهتهم التي يعبدونها، ويشتت نظمهم التي يلجأون إليها، فما ترك وسيلة يستفزهم ويحرضهم فيها على الإتيان بمثل أقصر سورة منه إلا واستخدمها. فكان الجواب أن خضعوا لفصاحته وبلاغته.

أمثلة الإعجاز البياني القرآني مع ما قيل من كلام العرب

يعد الباقلاني من أبرز من سلكوا هذا الباب في الموازنة بين ما ورد في القرآن من ضروب البلاغة وبين أبلغ ما حفظ عن العرب، ولكن حسبنا هنا في هذا المجال أن نبرز بعض الأمثلة في الإيجاز، والاستعارة، عند الإمام الرازي رحمه الله نذكرها موجزة غير مطولة، وإليك بعض هذه المقارنات:

أولاً: باب الإيجاز: من الأساليب التي لا شك تحسب في ميزان العرب، الإيجاز، حيث كان هذا الميدان يتنافس دونه بلغاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدع ما في هذا المقام، يقول ابن عاشور: "ولولا إيجاز القرآن لكان ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرار التنزيل، ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق عن تفطن العالم ويزيد عن تبصره، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾"[٣١]. ومن أشهر ما ضربوه مثلاً في باب الإيجاز قول الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ - يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣٢]. فإذا قارناه بما استحسن من كلام العرب: (القتل أنفى للقتل) ظهر البون شاسعاً، وصار التفاوت بعيداً[٣٣]. وذلك من جانب البلاغة والإيجاز، وذلك من وجوه عديدة، منها:

أولها: أن عبارة القرآن أكثر فائدة مما قاله العرب لاشتمالها على ما قالوه مع زيادة معان حسنة، منها إبانة العدل لذكره القصاص، وأن القتل ليس للشغب. وإبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة المحبوبة وجعلها نتيجة له، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به. فهو أحيا نفسه وأحيا المقتول لأنه علم أنه إذا قتل سوف يقتل فإذا امتنع فقد أحيا نفسه والمقتول الذي نوى أن يقتله.

الثاني: أنها أوجز، فإن عبارة القرآن ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ عشرة أحرف، وأما (القتل أنفى للقتل) فأربعة عشر حرفاً.

الثالث: انتفاء التكلف عن عبارة القرآن، والتكلف شاق على النفس، لا تألفه ولا تحبه.

والرابع: حسن عبارة القرآن بتأليفها الحروف المتلائمة، وهو مدرك بالحس، وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة (القتل أنفى)، لبعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فباجتماع هذه الأمور كان القرآن أبلغ وأحسن، وإن كانت عبارة العرب بليغة. فالمراد من الآية: أن الإنسان متى علم أنه إذا قَتَلَ قُتِل، كان ذلك داعياً له إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم ببعض، فكان بارتفاع القتل حياة لهم.

الخامس: في الآية تنكير لكلمة "حياة" للتعظيم والتكثير، وعبارة العرب ليس فيها تنكير.

السادس: سلامة الآية من التكرار الذي هو من عيوب الكلام، بخلاف المقولة العربية.

السابع: في الآية استغناء عن تقدير محذوف، بخلاف المقولة، فإن تقديره: القتل أنفى للقتل من تركه.

الثامن: في الآية جُعِلَ القصاص ضد الحياة، فالجمع بينها طباق، وهو من محاسن الكلام.

التاسع: في الآية جعل القصاص كالمنبع للحياة، بإدخال "في" على "القصاص"، فصار القصاص كأنه منبع تنبع منه الحياة، وفيها مبالغة.

العاشر: الإثبات أول والنفي ثان عنه والإثبات أشرف. فالقصاص حياة فيها إثبات لكن جملة العرب فيها نفي.

الحادي عشر: أن القصاص المبني على المساواة أوزن في المعادلة من مطلق القتل ولذلك يلزم التخصيص.

الثاني عشر: الطباع أقبل للفظ الحياة من كلمة القتل لما فيه من الاختصار وعدم تكرار الكلمة وعدم تنافر الحروف وعدم تكرار الحرفين وقبول الطبع للفظ "الحياة" وصحة الإطلاق.

الثالث عشر: أن نفي القتل لا يستلزم الحياة والآية ناصة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

الرابع عشر: أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة وقوله في القصاص حياة مفهوم لأول وهلة.

الخامس عشر: أن قولهم خطأ فإن القتل كله ليس نافيا للقتل فإن القتل العدواني لا ينفى القتل وكذا القتل في الردة والزنا لا ينفيه وإنما ينفيه قتل خاص. وهو قتل القصاص الذي في الآية تنصيص على المقصود والذي في المثل لا يمكن حمله على ظاهره.

السادس عشر: في الآية دلالة على ربط المقادير بالأسباب وإن كانت الأسباب أيضا بالمقادير وكلام العرب يتضمنه إلا أن فيه زيادة وهي الدلالة على ربط الأجل في الحياة بالسبب لا من مجرد نفي القتل.

السابع عشر: فيه بناء أفعل التفضيل من متعد والآية سالمة منه.

الثامن عشر: أن أفعل في الغالب تقتضي الاشتراك فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ولكن القصاص أكثر نفياً وليس الأمر كذلك والآية سالمة من هذا.

التاسع عشر: أن اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق وظهرت فصاحته بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون والحركات تنقطع بالسكنات نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فخنست ثم تحركت فخنست لا يتبين انطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره وهي كالمقيدة وقولهم: "القتل أنفي للقتل" حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية.

العشرون: الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلا ومكانا لضده الذي هو الحياة واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة ذكره في الكشاف. وهو قتل القصاص الذي في الآية تنصيص على المقصود والذي في المثل لا يمكن حمله على ظاهره.

الحادي والعشرون: القصاص في الأعضاء والنفوس وقد جعل في الكل حياة فيكون جمعا بين حياة النفس والأطراف وإن فرض قصاص بما لا حياة فيه كالسن فإن مصلحة الحياة تنقص بذهابه ويصير كنوع آخر وهذه اللطيفة لا يتضمنها المثل.

وأما زيادة ﴿لَكُمْ﴾ ففيها لطيفة وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم[٢٥].

ثانياً: باب الاستعارة: وأما الاستعارة فقد أوردوا فيها قول الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي **وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً** وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾[٢٦]. فأصل الاشتعال للنار، لكنه في هذا الموضع أبلغ، وحقيقته كثرة الشيب في الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايداً سريعاً صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار، وله موضع في البلاغة عجيب، وذلك أن انتشار الشيب في الرأس لا يتلافى كاشتعال النار. يقول الزمخشري: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه، وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة "[٢٧].

لقد ظل القرآن أسلم وأبعد ما يكون في فصاحته وبلاغته عن أي طعن من فصحاء العرب رغم تشوف كفارهم إلى ذلك، ورغم أن انتقاد الكلام، كان دأبهم شعراً ونثراً، واستدراك بعضهم على بعض كان ديدنهم رغم قلة الدواعي. ومما ورد في ذلك ما ذكره الرافعي من استدراك الخنساء على حسان بن ثابت في شعر أنشده بعكاظ، قال فيه:

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى--- وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وُلِـدْنَا بَنِي العَنْقَاءُ وَابْنَ مُحَرِّقٍ--- فَأَكْرِمْ بِنا خَالاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا[٢٨]

قال النابغة الذبياني وفي رواية قالت الخنساء: "ضَعُفَ افْتِخَارُكَ، وأبرزته في ثمانية مواضع، قال: وكيف؟

قالت: قلت: "لنا الجفنات" والجفنات ما دون العشر، فقلّلت العدد، ولو قلت: "الجفان" لكان أكثر.

وقلت: "الغر" والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت:"البيض" لكان أكثر اتساعاً.

وقلت:"يلمعن" واللمع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت "يشرقن" لكان أكثر، لأن الإشراق أدوم من اللمعان،

وقلت: "بالضحى" ولو قلت: "بالعشية" لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً،

وقلت: "أسيافنا"، والأسياف دون العشر، ولوقلت: "سيوفنا" كان أكثر.

وقلت:"يقطرن" فدللت على قلة القتل، ولوقلت: "يجرين" لكان أكثر، لانصباب الدم.

وقلت: "دما" والدماء أكثر من الدم،

وفخرت بمن ولدت، ولم تفتخر بمن ولدوك[٢٩].

ومثل ذلك أو أقل منه لم يحدث في كلمة من القرآن فضلاً عن آية رغم كثرة دواعي القوم للطعن والمعارضة.

التناسق البياني لكلمات القرآن الكريم- نماذج تطبيقية من تفسير الإمام الرازي

أولاً: الركوع والسجود: في سورة آل عمران، قال ﷻ: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣٠]. فما دلالة تقديم السجود على الركوع؟

سأل الرازي في هذا المقام ثلاثة أسئلة، وذلك على النحو الآتي:

السؤال الأول: لم قدم ذكر السجود على ذكر الركوع؟ والجواب من وجوه:

الأول: أن الواو تفيد الاشتراك ولا تفيد الترتيب.

الثاني: أن غاية قرب العبد من الله أن يكون ساجداً قال عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد»[٣١] فلما كان السجود مختصاً بهذا النوع من الرتبة والفضيلة لا جرم قدمه على سائر الطاعات. ثم قال: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الراكِعِينَ﴾ وهو إشارة إلى الأمر بالصلاة فكأنه تعالى يأمرها بالمواظبة على السجود في أكثر الأوقات وأما الصلاة فإنها تأتي بها في أوقاتها المعينة لها.

والثالث: قال ابن الأنباري: قوله تعالى: ﴿اقْنُتِي﴾ أمر بالعبادة على العموم، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ يعني استعملي السجود في وقته اللائق به واستعملي الركوع في وقته اللائق به وليس المراد أن يجمع بينهما ثم يقدم السجود على الركوع والله أعلم.

الرابع: أن الصلاة تسمى سجوداً كما قيل في قوله: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] وفي الحديث: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين» وأيضاً المسجد، سمي باسم مشتق من السجود، والمراد منه موضع الصلاة، وأيضاً أشرف أجزاء الصلاة السجود، وتسمية الشيء باسم أشرف أجزائه نوع مشهور في المجاز. إذا ثبت هذا فنقول قوله: ﴿يامَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ معناه: يا مريم

قومي. وقوله: ﴿وَاسْجُدِي﴾ أي صلي فكان المراد من هذا السجود الصلاة. ثم قال: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الراكِعِينَ﴾ إما أن يكون أمراً لها بالصلاة بالجماعة فيكون قوله: ﴿وَاسْجُدِي﴾ أمراً بالصلاة حال الانفراد. وقوله: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الراكِعِينَ﴾ أمراً بالصلاة في الجماعة أو يكون المراد من الركوع التواضع ويكون قوله: ﴿وَاسْجُدِى﴾ أمراً ظاهراً بالصلاة، وقوله: ﴿وَارْكَعِى مَعَ الركِعِينَ﴾ أمراً بالخضوع والخشوع بالقلب.

الوجه الخامس: في الجواب لعلّه كان السجود في ذلك الدين متقدماً على الركوع.

السؤال الثاني: أما المراد من قوله: ﴿وَارْكَعِى مَعَ الركِعِينَ﴾.

والجواب: قيل معناه افعلي كفعلهم وقيل المراد به الصلاة في الجماعة كانت مأمورة بأن تصلي في بيت المقدس مع المجاورين فيه وإن كانت لا تختلط بهم

السؤال الثالث: لم لم يقل واركعي مع الراكعات؟

والجواب: لأن الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء[٣٢]

والمدقق يجد هذا من دقة التعبير في الخطاب القرآني، ذلك أن الكلام في لغتنا على طريقتين: إما الترقّي من الأدنى إلى الأعلى أو التدني في الأعلى إلى الأدنى. والكلام في الآية هي الترتيب من العام فالخاصّ فالأخصّ. والقنوت عام يكون في الصلاة وفي غيرها، فهو عام ثم انتقل إلى الخاصّ وهو السجود لأنه يكون في الصلاة وفي سجود التلاوة وسجدة الشكر، لكنه أخصّ من القنوت ثم انتقل إلى الركوع الذي هو أخصّ من السجود فلا ركوع إلا في الصلاة.

وفي آية أخرى قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٣]. هنا انتقل من الأخص فالخاص فالعام فالأعم. والركوع أخص الخصوص ثم انتقل إلى السجود، ثم العام ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ثم الأعم ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾.

ثانياً: الفرق بين اسطاعوا واستطاعوا في سورة الكهف: وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[٣٤]. يقول الرازي: "قال: فَمَا اسْطَاعُواْ فحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرىء فَمَا بقلب السين صاداً اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ أن يعلوه أي ما قدروا على الصعود عليه لأجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقبه لأجل صلابته وثخانته"[٣٥]. إن فعل اسطاعوا جاء مع يظهروه. أي مع الصعود على الجدار، وهو أسهل من إحداث نقب فيه. فخلت من الفعل التاء، فاستعمل الفعل الذي هو أقل حرفاً مع الفعل الأيسر

والأسهل. أما فعل استطاعوا جاء مع حفر النقب في الجدار، فتناسب أن يحمل في ثناياه زيادة التاء لأنه الفعل الأصعب، فإحداث النقب في السد أصعب بكثير من الصعود عليه.

ثالثاً: دلالة تذكير كلمة (القانتين) في الحديث عن مريم

عندما يُعبّر الله ﷻ يعبّر بدقة متناهية، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [٣٦]، فقد جاء بالتأنيث في قوله ﷻ: ﴿وَكَانَتْ﴾ [٣٧] ثم ألحق بالمذكر في قوله: ﴿الْقَانِتِينَ﴾ والبعض يقولون هذا لمراعاة فواصل الآيات، وهذه ليست حجة. قال الرازي معللاً: "لأن القنوت صفة تشمل كل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه، ومن للتبعيض، قاله في الكشاف، وقيل: من القانتين: لأن المراد هو القوم، وأنه عام، كقوله ﷻ: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣٨] أي كوني من المقيمين على طاعة الله ﷻ، ولأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام"[٣٩]. فإذا أطلق المذكر فيعمّ المذكر والمؤنث أما إذا أطلق المؤنث فلا يشمل إلا المؤنث، لأن ما دبرته امرأة العزيز تفوقت فيه على بنات جنسها وعلى جنس الرجال وهذ من دقة التعبير.

رابعاً: الفرق بين خاطئ ومخطئ

الخاطئ وجمعها الخاطئون: هو الذي يفعل الذنب بتخطيط وتدبير، وتقال عادة للكفرة الملحدين، قال ﷻ: ﴿لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾[٤٠] قال الرازي: "الخاطئون: الآثمون أصحاب الخطايا، وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب وهم المشركون"[٤١].

وهذا ما نجده في الآية التي تتحدث عن **إخوة يوسف**: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٤٢]. أي آثمين حين ألقوا يوسف في البئر وكذبوا على أبيهم، وزعموا أن الذئب أكله وهم عنه غافلون[٤٣]. ومثال آخر في سورة يوسف في قصة **امرأة العزيز**، قال ﷻ: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٤٤] أي من المذنبين الآثمين من خلال تدبيرها الدقيق للاستفراد بيوسف عليه السلام.

المخطئ وجمعها المخطئون: المخطئون هم الذين يجانبون الصواب سواءً كان بقصد أو بغير قصد. ومنه قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٤٥] أي جانبنا الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي"[٤٦]. وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «رُفِع عن أمَّتي الخطأ

والنسيان، وما استكرهوا عليه».[٤٧]

الرابع عشر: الفرق بين ﴿أكله الذئب﴾ وافترسه الذئب

مظاهر الإعجاز البياني وخصائصه

هناك عدد من المظاهر الهامة للإعجاز البياني في القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: التنسيق في تأليف العبارة: قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤٨]. فقد جمعت هذه الآية الواحدة أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. أما الأمران: فقوله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، وأما النهيان: فقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾، وأما الخبران: فقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ وكذلك قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ وأما البشارتان: فقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. كل ذلك قد تجَمَّع في آية واحدة، وبشكل موجز وبليغ مُعْجز.

والآية هذه تعد من فصيح القرآن، والدليل على ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره، حيث نقل قصة طريفة منقولة عن الأصمعي: "حَكَى الْأَصْمَعِيّ قَالَ: سَمِعْت جَارِيَة أَعْرَابِيَّة تُنْشِد وَتَقُول:

أَسْتَغْفِر اللهَّ لِذَنْبِي كُلّه --- قَبَّلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلّه

مِثْل الْغَزَال نَاعِمًا فِي دَلِّهِ --- فَانْتَصَفَ اللَّيْل وَلَمْ أُصَلِّهِ

فَقُلْت: قَاتَلَك اللهَّ مَا أَفْصَحك! فَقَالَتْ: أَوَيُعَدّ هَذَا فَصَاحَة مَعَ قَوْل ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤٩] فَجَمَعَ فِي آيَة وَاحِدَة بَيْن أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ"[٥٠].

ثانياً: تصور المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية: إذا تكلم القرآن عن الحياة وما في هذا الكون من أرض أو جامد أو متحرك أو إنسان أو حيوان جاءت كلها صور حسية تنبض بالحياة، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكني أذكر مثالاً: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

تخيل هذه الصورة: أرض خاشعة، وذليلة، بمعنى أنها لا نبات عليها، يابسة بل يحيط بها القحط من كل جانب. فلما أنزل الله عليها الماء، انقلبت مهتزة وتحركت وكسيت بالنبات وارتفعت بالخصب والإنبات الجميل. وكيف تم تصويرها، لقد شُبِّهت بحال رجل ذليل فقير، مكسوف

الخاطر، ثيابه بالية، ثم أكرمه الله بالغنى، فلبس أحسن الثياب، وأخذ يمشي بخيلاء وزهو، وهز جنبيه وعطفيه مختالاً مزهواً. يقول الرازي: "الخشوع التذلل والتصاغر واستعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر والنبات فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ أي تحركت بالنبات وربت انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات"[٥١].

ويقول ابن عاشور: "وَهَذَا مِنْ تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَعْقُولِ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَخَيَّلُهُ النَّاسُ مِنْ مُشَابَهَةِ اخْتِلَافِ حَالَيِ الْقُحطِ وَالْخِصْبِ بِحَالَيِ التَّذَلُّلِ وَالِازْدِهَاءِ وهو من أحسن التمثيل"[٥٢]. وهناك صور كثيرة تظهر في قوله ﷻ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٥٣] وفي قوله ﷻ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٥٤]

ثالثاً: الدقة في استعمال الألفاظ والحروف: فالكلمة في القرآن لها موقعها المناسب وصوتها الملائم ومعناها المنسجم، فهي تناسب ما قبلها وما بعدها لفظا ومعنى، بحيث لو تتغير وضع الكلمة تقديماً أو تأخيراً أو حذفاً أو ذكراً، أو تغير حرف في الجملة لاختل النظم والمعنى.

ومثال بسيط على جزالة ألفاظ القرآن ومتانتها، حيث استخدمت لفظة واحدة في آية القرآن، وهي كلمة ﴿يُؤْذِي﴾ واستخدمت كذلك في بيت من الشعر؛ فجاءت في القرآن قوية، بادية الكمال، ذات دلالات كبيرة، وكان اختيارها في هذا الموقع معجز، جزل متين، جيث كانت مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به. لكن الكلمة حين استخدمت في بيت من الشعر، كانت ركيكة ضعيفة، مستهجنة ومنقطعة، ليس بعدها شيء تتعلق به، لأنه جاء بعدها بكلام مستأنف.

أما استخدامها في الآية الكريمة: فهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

والأذى: كما يقول ابن عاشور هو "ما يكدر مفعوله ويسيء من قول أو فعل. وقصد منه إطالة الجلوس، والحديث في بيت النبي ﷺ، وعدم شعورهم أن النبي ﷺ يكره ذلك منهم، فخوطبوا بهذا الخطاب تشديدا في التحذير واستفاقة من التغرير"[٥٥]. والمدقق يجد أن صيغة الإيذاء جاءت بصيغة المضارع، دون اسم الفاعل، لقصد إفادة الأذى المتكرر، والتكرير كناية عن شدة الإيذاء من طول الجلوس في بيت النبي ﷺ. وإنما كان إطالة الجلوس مؤذياً للنبي ﷺ لأن فيه ما يحول بينه وبين التفرغ لشؤون النبوة من: تلقي الوحي، أو العبادة، أو تدبير أمر الأمة، أو التأخر عن الجلوس في مجلسه لنفع المسلمين، ولشؤون ذاته وبيته وأهله[٥٦].

وأما بيت الشعر الذي ورد فيه استخدام "تؤذي" فهو قول أبي الطيب المتنبي:

تلذ له المـروءة وهـي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغـرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، إلا أن لفظة "تؤذي" آذت بيت المتنبي لضعف تركيبها فيه، فقد جاءت فيه غثة باردة، نابية عن الذوق بعيدة من الاستحسان، لكنها لما جاءت في القرآن، جاءت حسنة الموقع، وظهرت وكأنها في غاية الحسن ونهاية الطلاوة.

رابعاً: الإجمال[٥٧] والبيان[٥٨]: ومن مظاهر الإعجاز البياني ظاهرة الإجمال والبيان، وهي ظاهرة غريبة لا توجد في غير القرآن الكريم، فالإجمال والبيان غايتان لا تجتمعان في كلام واحد من الناس مهما علا شأنه في الفصاحة والبلاغة، ومع ذلك فقد اجتمعتا في القرآن الكريم.

ومن أمثلة الآيات المجملة التي فسرت بآيات مبينة أخرى: هو إجمال بسبب الإبهام في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]. قال الرازي رحمه الله في ذلك: "قال مجاهد وقتادة في إحدى الروايتين عنهما هي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣][٥٩].

خامساً: ومن مظاهر الإعجاز البياني التقديم والتأخير: إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه كل من أوتي حظاً من العلم في وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب. وقد أجاد القرآن الكريم في هذا الفن بشكل معجز بل بلغ الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب.

والتقديم والتأخير نوعان:

النوع الأول: تقديم اللفظ على عامله: ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. وقوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]. حيث قدّم المفعول به ﴿إِيَّاكَ﴾ على فعل العبادة، وعلى فعل الاستعانة، وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص.

لكن في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] جاء فعل الهداية في مكانه الأول فلم يقل "إيانا اهد" كما قال في الأوليين. وذلك لأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص، إذ لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تهد أحداً غيري، أو خُصني بالهداية من دون الناس. **وسبب ذلك**: أن العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. أما

الهداية فيشترك فيها كل الناس.

النوع الثاني: تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل: إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام وجعلته أولاً. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام. فنراه مثلاً يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء ومرة يقدم الإنس على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس ومرة يقدم الضر على النفع ومرة يقدم النفع على الضر كل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير.

الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في القرآن الكريم: استخدم القرآن أسلوب التقديم والتأخير لعلل بلاغية جميلة نلقي نظرة على بعضها، ونكتشف بعض أسرارها.

١. **التقديم من أجل التبرك**: كتقديم اسم الله حينما تذكر أسماء المخلوقات الأخرى وذلك في الأمور ذات الأهمية البالغة. ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]. فالخطاب القرآني قدم اسم الله هنا للتبرك بإسمه الأعظم.

٢. **التقديم للتشريف: كتقديم الحر على العبد**، كقوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلما كان الحر أشرف من العبد قدمه عليه.

٣. **التقديم للتعظيم**: كقوله تعالى: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤. **التقديم حتى يتناسب السياق مع المعنى (المناسبة)**: كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾، فقدم ﴿تُرِيحُونَ﴾ وهي عودة الأنعام من المرعى، على ﴿تَسْرَحُونَ﴾ وهي خروج الأنعام صباحاً إلى المرعى، وذلك لأن جمال الأنعام حين عودتها من المرعى أجمل، وأعظم لكونها قد أكلت وامتلأت. أما في حال خروجها صباحاً إلى المرعى فهي جائعة. لذا قدم ﴿تُرِيحُونَ﴾ على ﴿تَسْرَحُونَ﴾.

٥. **التقديم من أجل الحث على الشيء والحض على القيام به حذراً من التهاون به**: كقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١١]، فقد قدم الوصية على الدين، على الرغم من

أن الدين يقدم على الوصية شرعاً، حتى لا يتهاون الناس في أمر الوصية.

٦. **التقديم من أجل إبراز قيمة السبق والأولوية فى الوجود:** كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] لأن السنة وهي مقدمات النوم تكون قبل النوم. فالله تعالى الملك العظيم لا تأخذه السنة وهى مقدمات النوم، ولا النوم نفسه سبحانه فهو منزه عن كل نقص و عيب.

٧. **التقديم من أجل السببية:** وكقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] فقدم غض البصر على حفظ الفرج ذلك، لأن غض البصر من أعظم الطرق لحفظ الفرج، وإطلاق البصر من أعظم الطرق المؤدية إلى ارتكاب المحرمات، بل من أكبر الطرق التى تؤدى إلى الزنا، فأقصر طريق إلى القلب هو النظر.

٨. **التقديم مراعاة للكثرة:** وخير مثال على هذا، قوله ﷻ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[٦٠]

حيث قدمت المرأة على الرجل في مسألة الزنا: لأن الزنى فيهن أكثر. ألا ترى أن قسماً من النساء يحترفن هذه الفاحشة القبيحة؟ كما أن المرأة هي السبب فيه، وهي الأصل فيه، لما يبدو من الإطماع والكلام. كما أن مفسدة الزنا على المرأة أكثر من مفسدة الرجل، فهي التي ربما تحمل ويرى الناس حملها، فيكون الكلام عليها أكثر. وقدم هنا في مجال السرقة الرجال على النساء فقال ﷻ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦١]. لأن السرقة فاحشة وهي من الرجل أشد فحشاً، ولأنهم أكثر جرأة عليها. وجواب آخر: إن وقوع السرقة من جانب الرجال أكثر منه في جانب النساء .وللرازي موقف من الإعجاز البياني لا يتاح لنا الوقوف عنده لضيق المقام.

والله ولي الهداية والتوفيق،،،

الهوامش:

[١] أستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

[٢] سورة الإسراء: ٨٨.

[٣] انظر: البيهقي (٣٨٤/ ٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور عبد المعطى قلعجي، (د.م: دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ج٢، ص١٩٩. وانظر: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ج٢٠، ص٨١. وانظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ج١، ص١٠٤.

[٤] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ت) ص٦، المقدمة.

[٥] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط١، د.ت) ج٢، ص٥٤٤.

[٦] سورة القصص: ٣٤.

[٧] الإمام الطيبي، **التِّبيان في البَيان**، تحقيق ودراسة: د. عبد الستار حسين زمُّوط، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٥٥٢.

[٨] هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة ٥٤٤هـ والمتوفى سنة ٦٠٦ هـ بالري.

[٩] الفخر الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مج١٢، ج٢٤، ص٢٢٦.

[١٠] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروق بابن القيم إمام الجوزية، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**، ص: ١٢.

[١١] الجرجاني، **التعريفات**، ص٢١٤.

[١٢] الإمام الطيبي، **التبيان في البيان**، ص٥٥٣.

[١٣] ابن القيم إمام الجوزية، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**، ١٢.

[١٤] ابن القيم إمام الجوزية، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**، ١٢.

[١٥] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص٤٥٤.

[١٦] أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص٤٥٤.

[١٧] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٧٦.

[١٨] سورة يوسف: ٢.

[١٩] سورة فصلت: ٤٤.

[٢٠] الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢، ص١٨.

[٢١] سورة فاطر: ١٤.

[٢٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١١٩.

[٢٣] سورة البقرة: ١٧٩.

[٢٤] انظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروق بابن القيم إمام الجوزية، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**، حققت أصوله وضبطه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٣٨٠. . وانظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١١٩-١٢٠.

[٢٥] بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت) ج٣، ص٢٢٢. وانظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٥، ص٤٨.

[٢٦] سورة مريم: ٤.

[٢٧] الزمخشري، **الكشاف**، تفسير الآية رقم ٤ من سورة مريم.

[٢٨] الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، (د.م: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ) ج١٠، ص٢٨٠.

[٢٩] انظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٦، ص٤٤. وانظر: مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢٥٥. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، **كتاب الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)ص٥٠٩.

[٣٠] سورة آل عمران: ٤٣.

[٣١] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال فى الركوع والسجود، رقم الحديث: ١١١١، ج٢، ص٤٩.

[٣٢] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٨، ص٣٧.

[٣٣] سورة الحج:٧٧.

[٣٤] سورة الكهف: ٩٧.

[٣٥] الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢١، ص١٤٦.

[٣٦] سورة التحريم: ١٢.

[٣٧] سورة التحريم: ١٢.

[٣٨] سورة آل عمران: ٤٣.

[٣٩] الفخر الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مج١٥، ج٣٠، ص٤٦.

[٤٠] سورة الحاقة: ٣٧.

[٤١] الفخر الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مج١٥، ج٣٠، ص١٠٧.

[٤٢] سورة يوسف: ٩٧.

[٤٣] د.عبد العظيم إبراهيم محمد المعطني، **دراسات جديدة في إعجاز القرآن – مناهج تطبيقية في توظيف اللغة**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)ص١٤٤.

[٤٤] سورة يوسف: ٢٩.

[٤٥] سورة البقرة: ٢٨٦.

[٤٦] الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط٧، ١٤٠٢هـ١٩٨١م) ج١، ص٢٦٠.

[٤٧] أخرجه ابن ماجه في السنن برقم (٢٠٤٣). وقال الترمذي هذا حديث لا نعرفه الا من حديث سليمان بن حرب عن حماد بن زيد وسألت محمدا عن هذا الحديث فقال حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد بهذا وإنما هو عن أبي هريرة موقوف ولم يعرف محمد حديث أبي هريرة مرفوعا.

[٤٨] سورة القصص: ٧.

[٤٩] سورة القصص: ٧.

[٥٠] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير الآية رقم ٧، من سورة القصص.

[٥١] الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٧، ص١١٣.

[٥٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٤، ص٣٠٢.

[٥٣] سورة يس: ٣٨.

[٥٤] سورة التكوير: ١٨.

[٥٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢، ص٨٦.

[٥٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢، ص٨٦.

[٥٧] وعرف أبو إسحق الشيرازي المجمل بقوله: هو ما لا يعقل معناه من لفظه، ويفتقر في معرفة المراد إلى غيره. انظر: الشيرازي، **اللمع في أصول الفقه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٦هـ) ج١، ص١١١.

[٥٨] نقل الآمدي عن الصيرفي تعريفه للبيان بقوله: "هو إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التحلي والوضوح" انظر: الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج٣، ص٣٣.

[٥٩] الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣، ص١٩، وانظر: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ج١، ٦٣.

[٦٠] سورة النور: ٢.

[٦١] سورة المائدة: ٣٩.